

عن تأليف وزارة جديدة طالما ان سلطات الاحتلال تتفق في وجه المطالب الوطنية ، الا ان مؤاد رفض ان يستقبل الوفد ، وفي نفس الوقت طلب من المقيم البريطاني ان يحميه من اهانات اخرى ولحمية كرامة السلطان صدر قرار باعتقال سعد زغلول وثلاثة من زملائه وتم نفيهم الى جزيرة مالطة . وهو تصرف ابدى السلطان بشأته عميق شكره الى المقيم البريطاني .

هل يستطيع القارئ ان يستخلص من ذلك شيئا عن أصالة الثورة الوطنية المصرية العظمى؟ يبدو ان هذه الثورة تشكل عقبة ضخمة في طريق الدارسين المتخصصين في تشويبه تطور الكفاح المصري ، فليس قدوري اول من حاول مسح وجه ثورة سنة ١٩١٩ من قبله حاول ناداف صفران ذلك .

ثم يجيء قدوري ويقول ان ممثلي بريطانيا اخطأوا مرتين في اكتشاف التنسيق بين فؤاد وسعد ، الاولى عند زيارة هذا الاخر للمعتد البريطاني ، والثانية حين اتخذوا اجراءات العنف ضد سعد زغلول ، لانهم في ذلك كانوا ضحية خداع من الملك (!) الذي كان يهدف - في رأي الكاتب الذي يستهين بعقلية قرائه - الى اشعال الثورة في البلاد ضد الانجليز ، بسبب نفي هؤلاء الزعماء . ولكنه يعود فيورد رأي فؤاد في مفاوضات لجنة ملتر مع سعد وزملائه ، لقد ابدى السلطان دهشته لوجود رغبة في تقديم تنازلات تمثل هذا الاتساع لصالح اناس اشعلوا ثورة ضده وسببوا مثل هذه الاضطرابات للحكومة البريطانية في العمام الماضي . وفي دراسة اخرى في نفس الكتاب نجد ان قدوري يقول ان الملك كان يشعر بالمرارة لان الانجليز فرضوا دستوراً على النمط البلجيكي على المصريين الذين لم يكونوا قط مستعدين للحكومة البريطانية .

ويجهد القارئ عبثاً عن تتبع مظاهر التنسيق الزعومة (!) التي يتحكم من خلالها في مسار ثورة الشعب المصري ، ويفسر بها المؤلف هذه الثورة . ويطلق الكاتب بعد ذلك احكاماً عصبية على الثورة المصرية فهي تبدو لديه ثورة موجهة من أعلى ، هذا في البداية على الاقل اما جماهير المدينة والفلاحون فقد كانوا يتحركون لا بسبب مطالب وطنية واقتصادية ولكن مدفوعين « بالكليشيهات »

الجزء الاكبر من تاريخها سوى الحكم الاجنبي ، وأنه حتى مجيء القوى الغربية لم تكن خبرتها هي انواع الحكومات سوى خبرة الحكم المتفطرس الجشع الاستبدادي غير المسؤول ، ولقد تحققت نبوءة كرومر في انه تحت شعار المؤسسات الحرة ستظهر أسوأ شروور الحكم الشخصي .

ويقول قدوري في دراسة اخرى في نفس الكتاب ان انصار الليبرالية في الغرب الذين كانوا يدعون الى ادخال الاصلاحات في الشرق هم أنفسهم الذين كان من رأيهم ان الطريق الوحيد لتطبيق هذه الاصلاحات هو الحكم الاوربسي المباشر ويعلق المؤلف على ذلك بأن التحول عن الاعتقاد في ادخال اصلاحات تشرف عليها اوربا الى اعتقاد في حكم ذاتي وطني - هذا التحول يمثل لحظة هامة وذات مغزى في انحطاط المذهب الليبرالي .

المطلقة اذن لا تفهم الالفة الردع ، واول تنازل من جانب القوى سيكون البداية لسلسلة من التنازلات لا تنتهي ، وستكون الخاتمة تصفية كاملة للمصالح الغربية ، فليس ثمة تبار ثوري يستند الى جماهير لها مطالب وطنية واضحة ومحددة .

ولقد كان من اكبر اخطاء اللبني انه قبل - دون فحص - الرأي القائل بأن سعد زغلول يعبر عن رأي أغلبية المثقفين المصريين . كما لو « ان « المثقفين المصريين » - هكذا يقول المؤلف - كانوا كياناً معروفاً او من الممكن تمييزه ، وكما لو ان آراءهم - مهما تكن طبيعتها او طريقة التعبير عنها - كانت لها اهمية رئيسية او غالبة ، وكما لو انه كان هناك أصغر قدر من المعنى في مثل هذا الموقف الحديث - الا باقصى قدر من التسبب والخداع عن التعبير والمعبرين » .

فكيف يقدم استاذ السياسة احداث هذه الفترة الى قارئه ؟ ان سعد زغلول لم يذهب الى المعتد البريطاني الا بدفعة من السلطان فؤاد الذي كان وقتئذ في صراع مع المعتد البريطاني على حكم مصر ، ومن هنا مصلحته في استغلال الشخصيات المناوئة لبريطانيا واثارة المتاعب لها .

ولكن الكاتب نفسه يقدم وقائع اخرى - ففي بداية مارس ١٩١٩ كانت مصر بلا وزارة ، حينئذ زار سعد زغلول القصر على رأس وفد وقدموا التماساً للسلطان يطلبون فيه ان يمتنع هذا الاخر